



عطاءات الزمن المبارك..

شهر رمضان



محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

القطيف - المملكة العربية السعودية

حسن موسى الصفار



عطاءات الزمن المبارك..

شهر رمضان





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





مقدمة

في غمرة انشغال الناس بالاهتمامات المختلفة في حياتهم، وفي ظل ما يحيط بهم من سباق وتنافس إعلامي وإعلاني، يشدّهم إلى مختلف الاتجاهات والتوجهات، في السياسة والاقتصاد والمعرفة والفن والترفيه.. تحتاج المواسم والبرامج الدينية إلى الاهتمام بجانب الإعلام والإعلان لتذكير الناس بالبعد الروحي المعنوي والقيمي في حياتهم، ولتشجيعهم على التفاعل مع المناسبات والمواسم الدينية، واستثمار برامجها بالشكل الأمثل، لتحقيق الأهداف التي شرّعت من أجلها في حياة الإنسان، بما يقوم سلوكه الفردي والاجتماعي، ويصلح دنياه وآخرته.

إن الاعتماد على اندفاع الناس الذاتي لأداء واجباتهم الدينية، وعلى أجواء التقاليد والأعراف التي تحيط بهذه المناسبات، يهدد الاقبال عليها بالثقل والانحسار، خاصة في أوساط أبناء الجيل

الجديد، الذي تتنازعه مختلف الاهتمامات والانشدادات.

بل يجب أن تنظم المؤسسات والجهات الدينية حملات من التعبئة والإعلام لكل برنامج وموسم ديني، من أجل تذكير الناس بتلك المناسبة، وتحفيزهم للاهتمام أكثر بالاحتفاء بها، ونشر الوعي بأبعاد المناسبة واستهدافاتها، وتوجيه الناس لاستثمارها والاستفادة منها بأعلى قدر ممكن.

ويأتي في طليعة المناسبات الدينية شهر رمضان المبارك حيث أوجب الله تعالى فيه الصيام، كما أنزل فيه القرآن، وجعل فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر بنص القرآن الكريم.

إن هذا الشهر الكريم مليء بفرص الخير، وتتوفر فيه أفضل الأجواء والظروف لإنجاز التحوّلات الإيجابية في شخصية الفرد وواقع المجتمع.

لكن ذلك رهن بمدى الوعي والتفاعل مع رسالة هذا الشهر الكريم على الصعيد الفردي والاجتماعي.

وتضم هذه الورقيات المتواضعة سطوراً كتبتها في سنوات سابقة لإلقائها على جمهور المستمعين، بهدف المساهمة في توجيه الاهتمام بهذا الشهر الكريم، واقتناص فرص الخير فيه، واستثمار أجوائه المباركة في إصلاح الذات وتطوير المجتمع.

وإذ أقدم هذه الورقيات بين أيدي القراء الأعزاء لأرجو أن تكون باعثاً ومحفزاً نحو اهتمام أكبر، وتفاعل أعمق مع فريضة الصوم

العظيمة وأجواء هذا الشهر المبارك.

أسأل الله تعالى أن يبلغنا جميعًا ويوفقنا لصيامه وقيامه، وأن يتقبل من الصائمين صيامهم وأعمالهم، وأن يستجيب صالح دعواتهم.

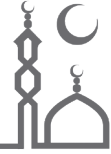
والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

١٩ رجب ١٤٤٠ هـ

٢٦ مارس ٢٠١٩ م





ثقافة الاستعداد وحالة الاسترسال

من معالم الجدّية في شخصية الإنسان استعداده وتهيؤُه لما هو مقبل عليه من الأمور والمهام. يأتي هذا النمط من السلوك مقابل حالة يعاني منها كثير من الناس، وهي الاسترسال واللامبالاة. يقوم البعض بعمل ما وهو سارح الذهن وغير مركز على العمل الذي يقوم به، حتى يصبح ذلك سمة في كل أعماله، بينما الإنسان الجادّ لا يرضى لنفسه حالة الاسترسال بل يُقبل على كلّ عمل صغيراً كان أو كبيراً باهتمام وتركيز وتهيؤ واستعداد، وهذا السلوك يعتبر مؤشراً من مؤشرات النجاح.

الجدّية والاهتمام في التعامل مع الناس

حالة الاسترسال في إنجاز الأعمال، وعدم التركيز في أدائها، حالة خطأ قد تسبب أخطاراً كبيرة، خاصة فيما يرتبط بقضايا الناس، ومن الأمثلة على ذلك:

- **الطبيب.** إذا كان جادًا في عمله مهتمًا بمرضاه، تجده يتسلم ملف المريض ويطلع عليه بعناية، حتى يستقبل المريض وقد تعرف على حالته، ويبدأ مناقشته والاستفسار عن حالته المرضية، ليكون واثقًا من تشخيصه للمرض. بينما إذا كان طبيبًا غير مبالٍ بعمله وبمرضاه، فقد يدخل عليه المريض وهو مشغول بجواله، يرسل رسالة أو يستقبل أخرى، أو يحدث أحدًا آخر، ولربما لم يكلف نفسه الاطلاع على ملف المريض إلا تصفحًا، ويكتفي بسؤال المريض مجاملة، ولا يعنيه أن يسمع كامل التفاصيل منه، ولا يكلف نفسه شرح المرض للمريض.
- **الموظف.** يتسلم المعاملة من المراجع، ولعلها لا تحتاج أكثر من دقائق لإنجازها، لكنه بسبب انشغاله بأشياء خارج عمله، كقراءة جريدة، أو رسائل جوال، أو حديث مع شخص آخر، يطلب من المراجع مراجعة معاملته بعد يومين، ولربما مدة أطول!
- **المعلم.** الذي يحضر الصف دون أن يحضر الدرس الذي سوف يشرحه للطلاب. سيما الآن مع تجدد المناهج، وتطور العلم والتقنية التعليمية، يحتاج المعلم إلى مواكبة ذلك حتى يفيد الطلاب.
- **الخطيب.** أو عالم الدين الذي سيلقي خطبة أو كلمة على

المستمعين، لا يصحّ أبداً أن يأتي ويلقي على جمهور أصبح واعياً مثقفاً، دون أن يحضّر تحضيراً جيداً للكلمة التي سيلقيها عليهم، وأن يكون واضحاً لديه ما هي الأمور التي يناسب أن يطرحتها ليفيدهم بها، ويعالج القضايا التي تلامس واقعهم.

التهاون في هذه الأمور، وعدم المبالاة، يعتبر خيانة للأمانة، وهو خلاف تعاليم الدين الذي يربي الإنسان على أن يكون جاداً في حياته وعمله، وأن ينظّم أموره، بعيداً عن الفوضى والاسترسال واللامبالاة، هذا التوجيه الذي نجده في كل برنامج ديني.

فالصلاة مثلاً لها مقدمات واجبة ومستحبة، قبل البدء بها، كالوضوء والأذان والإقامة، وقراءة بعض الأدعية المأثورة، حتى يدخل الإنسان إلى الصلاة وهو متهيئ نفسياً.

المائدة كذلك لها آداب، لا أن يأتي الإنسان وينقض على الطعام فوراً، بل يستحب له قبل ذلك: غسل اليدين، والبسملة، وقراءة بعض الأدعية المأثورة، ثم يبدأ بتناول الطعام. وعليه أن يستحضر قيمة النعم المتوفرة بين يديه، فوجود الماء نعمة، وقدرته على الشرب نعمة، ثم يذكر اسم الله ويشرب حتى يشكر لله على هذه النعمة. وحتى لدخول الخلاء لقضاء الحاجة، هناك آداب: كالدعاء قبل الدخول، واستحباب تقديم الرجل اليسرى عند الدخول، واليمنى عند الخروج.

هذا كله حتى يدربك الإسلام على إتقان أي عمل تقوم به، تريد

أن تحضر اجتماعاً إدارياً، تهيأ له قبل حضورك، ماذا ستقول في هذه الاجتماع؟ ماذا يمكن أن تسمع؟ ما هو المطلوب منك؟ بل حتى وأنت تريد زيارة أحد، فكر كيف تكون الزيارة ناجحة موفقة، وتؤدي آثارها المطلوبة. هكذا ينبغي أن يكون الإنسان.

التهيؤ لاستقبال شهر رمضان :

في هذا السياق تأتي الأحاديث والروايات حول تهيؤ الإنسان المؤمن لاستقبال شهر رمضان. حيث ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة كان يوجه الناس من خلالها قبيل شهر رمضان، حتى يهيئهم لاستقبال هذا الشهر المبارك، وكذلك وردت خطب عن عليّ ﷺ وروايات عن سائر الأئمة ﷺ، كلّها تصب في هذا السياق، ومنها الرواية التي ينقلها عبد السلام الهروي عن الإمام الرضا ﷺ قال: دخلت على أبي الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ في آخر جمعة من شهر شعبان فقال لي: «يا أبا الصلت، إنّ شعبان قد مضى أكثره، وهذا آخر جمعة فيه، فتدارك فيما بقي تقصيرك فيما مضى منه، وعليك بالإقبال على ما يعينك، وأكثر من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن وتب إلى الله من ذنوبك، ليقبل شهر رمضان إليك وأنت مخلص لله عزّ وجلّ، ولا تدعنّ أمانة في عنقك إلا أدّيتها، وفي قلبك حقداً على مؤمن إلا نزعته، ولا ذنباً أنت مرتكبه إلا أفلعت عنه، واتق الله وتوكل عليه في سرّ أمرك وعلانيتك، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا

الشهر، اللهم إن لم تكن غفرت لنا فيما مضى من شعبان فاغفر لنا فيما بقي منه، فإن الله تعالى يعتق في هذا الشهر رقاباً من النار؛ لحرمة شهر رمضان»^(١).

في مجتمعاتنا نتهياً مادياً لاستقبال شهر رمضان بتفقد حاجات البيت حيث تزدهم الأسواق لشراء المواد الغذائية، وكأن شهر رمضان هو شهر الطعام والشراب! كل التقارير تشير إلى أن استهلاك المواد الغذائية يزيد في شهر رمضان، فأين استعداداتنا الروحية والاجتماعية؟

صيام أيام قبل رمضان:

تؤكد بعض النصوص أهمية التهيؤ لاستقبال شهر رمضان بصيام أيام من شهر رجب، أو صيام أيام من شهر شعبان، وهو الشهر «الذي كان رسول الله ﷺ يدأب في صيامه وقيامه في ليليه وأيامه»، كما ورد في الدعاء المروي عن علي بن الحسين عليه السلام^(٢)، أو لا أقل صيام الأيام الأخيرة من شهر شعبان، حيث ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «من صام ثلاثة أيام من آخر شعبان ووصلها بشهر رمضان كتب الله له صوم شهرين متتابعين»^(٣).

(١) وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٠١، حديث ١٧.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٩٢، حديث ١٣٩٣٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٩٤.

طهارة المال:

هل الطعام الذي ستفطر عليه بعد يوم شاق من الصيام من مال حلال؟ يأتي التأكيد على هذا الأمر في حديث مروى عن رسول الله ﷺ: «كلوا الحلال يتم لكم صومكم»^(١). وروى عنه ﷺ: «العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل وقيل كالبناء على الماء»^(٢). لذلك على الإنسان قبل شهر رمضان أن يطهر أمواله، بإخراج حقوق الله من خمس وزكاة، وحقوق الناس. ومن كان عليه شيء من تلك الحقوق فليكن شهر شعبان فرصة له ليحاسب نفسه، حتى يدخل عليه الشهر الكريم وماله طاهر نقي من حقوق الله وحقوق الناس. وهذا ما يشير إليه الإمام الرضا في قوله: «ولا تدعن أمانة في عنقك إلا أديتها».

تصفية النفس:

وذلك بالتوبة وترك الذنوب، ونزع الضغائن والأحقاد من القلب، تجاه كل أحد قريب أو بعيد، لا تدع في قلبك ذرة حقد على أحد، لتستقبل شهر رمضان بنفس راضية طيبة، حتى تضمن رضا الله تعالى وتنال كرامته في هذا الشهر الكريم. كما جاء في الخطبة الواردة عن رسول الله ﷺ في استقبال شهر رمضان: «فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفقكم لصيامه، وتلاوة

(١) كنز العمال. ج ١٥، ص ٨٤٤، حديث ٤٣٣٥٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٥٨، حديث ٥٦.

كتابه، فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم»، وكذلك ما جاء في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «وتب إلى الله من ذنوبك، ليقبل شهر رمضان إليك وأنت مخلص لله عزّ وجلّ، ولا تدعنّ أمانة في عنقك إلا أدّيتها، وفي قلبك حقدًا على مؤمن إلا نزعته».





أداء العمل بشوق وتفاعل

يتفاوت الناس في مستويات أدائهم لأعمالهم، وفي تفاعلهم مع القيام بوظائفهم التي يلتزمون بها على أنحاء:

١. فهناك من يؤدّي عمله تحت ضغط الإلزام، دون رغبةٍ واندفاعٍ نفسيٍّ، بحيث لو استطاع التخلّص منه لما قام به، فنلاحظُ في بعض الأحيان مثلاً: إنّ تلاميذ الصفوف الأولى حينما يحين وقت ذهابهم للمدرسة، تراهم يبحثون عن حجج واهية، وأعدار وهمية، من أجل تبرير عدم ذهابهم، وإن ذهبوا يذهبون متثقلين على غير رغبة؛ والحال كذلك عند بعض الموظفين؛ حيث يكونون أشبه بالمكره الذي لا رغبة لديه في العمل الذي أكره عليه، بحيث لو تمكّن من التخلّص لما ذهب.

وهذا الأمر لا يقتصر على الواجبات الوظيفية، بل يشمل حتّى

الوظائف العبادية الدينية، فنرى من يؤدون عباداتهم من دون رغبة واندفاع، على «طريقة مجبر أخاك لا بطل».

وقد تحدّث القرآن الكريم عن فريق من الذين يتلبسون بهذه الصفة، في موقفهم تجاه فريضة الجهاد، حينما دعاهم الرسول الأكرم ﷺ في معركة بدر حيث يقول تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ؛ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآيات: ٥-٦].

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ...﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣٨]. ولا تقتصر المسألة على موضوعة الجهاد فقط، حيث ربما يكون الخروج إليه محفوفًا بالمخاطر، لكننا نجد أن البعض ممن لا يكون الإيمان عميقًا في نفسه، يوسع دائرة تردده وتقايسه إلى عموم العبادات الأخرى، فقد تحدّث القرآن الكريم عن حالة البعض ممن يقيم فريضة الصلاة، وممارسة الإنفاق بكسل وتثاقل، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٥٤].

٢. وهناك من يؤدّي عمله لكن في حدوده الدنيا، بحيث يصدق عليه أنه مارس وظيفته الحياتية أو اليومية، فحينما يريد أن يمثل لفريضة الصوم مثلاً، يأخذ حدّها الأدنى، الذي

يصدق من خلاله عليها وصف الصوم، وهو: الاجتناب عن المفطرات، وقد وصف رسول الله ﷺ مثل هذه الحالة كما ورد عنه: «إِنَّ أَيْسَرَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى الصَّائِمِ فِي صِيَامِهِ تَرْكُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ»^(١).

ونلاحظ هذا المستوى من الأداء في فريضة الصلاة أيضاً؛ فترى بعض المكلفين يبحثون عن الحد الأدنى من الواجب فيها.

٣. وهناك من يؤدي عمله من حيث الشكل بإتقان، لكن لا يصحبه تفاعل نفسي، ولا تفكير في استثمار العمل.

٤. أما الحالة الأفضل، والمستوى الطموح الذي ينبغي أن يتطلع إليه الإنسان في كل عمل من أعماله، أن يؤديه برغبة وتفاعل وتفكير في استثماره، فصرف الوقت والجهد يقتضي الاهتمام بالعمل وترقيته إلى أعلى مستوى.

استثمار فرصة العمل

فالطالب حينما يحصل على بعثة دراسية فإنَّ الفرص التي أمامه كثيرة جداً؛ لكن البعض يكتفي بالحد الأدنى من الدرجات الامتحانية، بحيث يضع نفسه في دائرة المستحقين للمكافأة التي تدفعها الملحقة الثقافية، وفي إطار ضوابطها، لكن البعض من المبتعثين يمتلك عشقاً واهتماماً باستثمار تواجده في المنطقة التي ابتعث فيها؛ فما دام يتواجد في دولة متقدمة علمياً وحضارياً، فلماذا

(١) وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ١٦٤.

لا يستثمر وقته، ويصرف همته، في الاهتمام الأكبر بدراسته وتنمية قدراته المختلفة.

وحينما يأتي الإنسان إلى صلاة الجماعة ويصرف وقتاً من أجلها، فعليه أن يفكر في كيفية استثمار وقته الذي صرفه في هذا المجال، على المستوى النفسي، والروحي، والمعرفي والاجتماعي...، وهكذا في مختلف المجالات كالسفر مثلاً؛ فبعض الناس يصرف أموالاً طائلة للسفر والسياحة، لكنه يقتصر في سفره على النوم والأكل فقط، من دون أن يستفيد من سفره بأن يكسب أشياء جديدة، وأصدقاء جددًا.

ينبغي أن تكون عند الإنسان هذه الروحية في كل عمل من الأعمال التي يؤديها، أن يتفاعل نفسياً مع العمل وأن يستثمره بأعلى حدٍّ ممكن.

وفي رحاب فريضة الصيام علينا أن نلاحظ كيفية التوجيه الذي تقدّمه التعاليم الدينية حول هذه الفريضة، فعندما يصوم الإنسان، ويصرف جهداً، ويمتنع عن الأكل والشرب والرغبات، فلا بُدّ من استثمار ذلك، وعدم جعلها تمرّ دون فائدة مناسبة، ومن هنا جاءت النصوص التي وصفت حظّ بعض الصائمين بالجوع والعطش، من دون تفاعل نفسي مع الفعل الذي يقوم به، ومن دون استثمار للفرصة التي يمرّ بها، وهكذا بالنسبة للمصلي الذي يؤدي العبادة كشكلٍ دون أن يرافقها تمعّن ومضمون.

أرقى درجات الصيام

إنَّ التوجيهات الدينية تدفع الإنسان لأداء فريضة الصوم - وغيرها من الفرائض الأخرى - بأفضل وجه، وتوضح الآلية لذلك؛ حيث تحدّثت النصوص عن آداب الصيام والآفاق التي يمكن أن يستثمرها المكلف من خلال هذه الفريضة، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: الصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي عَلَيْهِ»^(١).

وبذلك يخرج الصوم من دائرة الرياء حيث إنَّه التزام ذاتي بين المكلف وبين خالقه، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الصَّوْمُ عِبَادَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَخَالِقِهِ، لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ لَا يُجَازِي عَنْهَا غَيْرُهُ»^(٢).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الصَّائِمَ مِنْكُمْ لَيَرْتَعُ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ تَدْعُو لَهُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرَ»^(٣).

وما دام الإنسان يعيش هذه الحالة فلا بُدَّ أن يستثمرها ويستفيد منها، وقد ورد عن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام أنها قالت: «مَا يَصْنَعُ الصَّائِمُ بِصِيَامِهِ إِذَا لَمْ يَصُنْ لِسَانَهُ وَ سَمْعَهُ وَ بَصَرَهُ وَ جَوَارِحَهُ»^(٤).

(١) الكافي، ج ٤، ص ٦٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٢٩٦.

(٣) الكافي، ج ١٥، ص ٨٠٦.

(٤) دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢٦٨.

وفي مستوى متقدّم توجّهنا النصوص إلى انعكاس هذه الفريضة على فكر الإنسان ومشاعره وأحاسيسه، وهو المستوى الأرقى والأكمل، وقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «صِيَامُ الْقَلْبِ عَنِ الْفِكْرِ فِي الْأَثَامِ أَفْضَلُ مِنْ صِيَامِ الْبَطْنِ عَنِ الطَّعَامِ»^(١).

فعلى الإنسان أن يبعد قلبه عن التفكير في الذنوب والمعاصي، وهذه ناحية مهمّة، إذ يطلق الإنسان في بعض الأحيان لفكره العنان في التفكير ببعض المعاصي، والشرع لا يحرم هذا التفكير بمجردّه، لكن من الواضح أن ذلك قد يفضي إلى ولادة نفسية سلبية عند الإنسان، حيث تنخفض عنده درجة المناعة، ويصبح أقرب للوقوع في شبك المعصية، من هنا ورد ضرورة الابتعاد عن التفكير بالذنوب، كأن يفكر في ممارسة موبقة معينة مثلاً؛ فإن أصل التفكير بهذه الموبقة عمل ينبغي الابتعاد عنه، وذلك لما قاله علي عليه السلام فيما روي عنه: «مَنْ كَثُرَ فِكْرُهُ فِي الْمَعَاصِي دَعَتْهُ إِلَيْهَا»^(٢).

وفي كلمة أخرى: «مَنْ كَثُرَ فِكْرُهُ فِي اللَّذَاتِ غَلَبَتْ عَلَيْهِ»^(٣). وهذه كلمات رائعة، تمثل خلاصة للحقائق والتجارب الإنسانية، وعلى الإنسان أن ينصاع لها، ويربي نفسه عليه.

وفي هذا الشهر الكريم علينا أن نمارس لا صوم الطعام

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٤١، حكمة ٧٨.

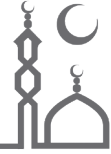
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٥٩، حكمة ١٢٧٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٥٩، حكمة ١٢٦٩.

والشراب فقط، وإنما صوم الجوارح عن بقية المحرمات كالغيبة والنميمة والاستماع إلى ما يحرم، والمستوى الأرقى من الصوم هو صوم القلب عن التفكير في الآثام والمعاصي. ورد عن عليّ عليه السلام: «صَوْمُ الْقَلْبِ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ اللِّسَانِ وَصِيَامِ اللِّسَانِ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ الْبَطْنِ»^(١).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٤٠، حكمة ٧٤.





المفاهيم الأخلاقية قيم مشتركة بين الديانات

يمثل الاهتمام بالفضائل والأخلاق قاسمًا مشتركًا بين جميع الديانات على اختلافها، حيث يصنّف مؤرخو الأديان الديانات إلى أربع منظومات هي:

١. الديانات السماوية المعروفة: اليهودية، المسيحية، الإسلام.
٢. ديانات الحضارات القديمة: نظير ديانة المصريين القدامى.
٣. الأديان الهندية: كالهندوسية والبوذية.
٤. أديان الشرق الأقصى: كالطاوية والكونفوشيوسية في الصين، والشتوية في اليابان.

فليس هناك من ديانة إلا وهي تدعو أتباعها إلى القيم الأخلاقية على اختلاف في التفاصيل والتطبيقات سعةً وضيقةً، فلا توجد ديانة تبيح قتل النفس المحترمة، ولا توجد ديانة تبيح الكذب والخيانة، كما لا توجد ديانة تسمح بالظلم والجور، إنّ كلّ الديانات بغض

النظر عن أصل صحّتها وبطلانها، تمجّد القيم الأخلاقيّة، وتحذّر من القبائح والعدوان، وتشيد بالفضائل والقيم الأخلاقيّة بشكل عام، وهذا يدلّ على أنّ هناك منبعًا مشتركًا لهذه الديانات، رغم لحوق التحريف لبعضها، أو عدم إتيانها من مصدر سماويّ مباشر، وإنما قد تكون جاءت من بقايا ديانة سماويّة سابقة، إن المنبع الواحد لاهتمام كل الديانات بالفضائل الأخلاقيّة، هو ما أودعه الله من فطرة ووجدان في عمق الإنسان، إلى جانب الوحي الإلهيّ؛ حيث لم يشأ الله سبحانه وتعالى لخلقه أن يعيشوا الضلال والتهيه والضياع، لذلك بعث إليهم الأنبياء والرسل.

الوحي لتعزيز القيم الأخلاقيّة

إنّ معظم هذه الديانات جاءت على أيديّ الأنبياء والرسل، لكن لحق بها تشويه وتحريف، وبعض الديانات هي من بقايا آثار الوحيّ والرسالات السماويّة السابقة؛ ولأنّ المنبع مشترك نلاحظ الاهتمام بالفضائل والقيم الأخلاقيّة.

لقد أنكر البعض من مؤرّخي الأخلاق العلاقة والارتباط بين القيم الأخلاقيّة والوحي، وأبرزهم الفرنسي (جيمس هنري برستيد) فقد نصّ في كتابه «فجر الضمير» على إنكار كون الوحي مصدرًا للقيم الأخلاقيّة، مستدلًا على ذلك بما يوجد في الديانات المصريّة القديمة مثلًا من تعاليم أخلاقيّة، مع أنّها سابقة لنزول التوراة بألفي سنة، وسابقة لميلاد السيد المسيح بأربعة آلاف سنة، وبالتالي سابقة

لنزول الإنجيل^(١).

لكن هذا الاستدلال ليس دقيقاً؛ لأنّ الديانات لم تبدأ من التوراة والانجيل، بل الصحيح حسب اعتقادنا أنّ أوّل البشر - وهو آدم ﷺ - كان نبياً، وأنّ الأنبياء توالوا في المجتمعات البشرية كما يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٢٤].

فالأنبياء والرسل كانوا في الأمم القديمة، غاية ما هناك عدم ذكر جميع الأنبياء في القرآن أو في الكتب السماوية كما يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٧٨]، ولعلّ بعض من تنتسب إليهم بعض الأديان هم أنبياء في واقع الأمر ربما، أو لعلّ دياناتهم كانت من بقايا تراث الأنبياء في أممهم، وما هذه المشتركات بين الأديان إلاّ دليلاً على أنّ هناك منابع مشتركة، ومن هنا أشار القرآن الكريم إلى مشتركات الأديان بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٦٢].

(١) جيمس هنري برستيد، فجر الضمير، ترجمة: د. سليم حسن، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص ١٣.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٤].

هذه الحقيقة يجب أن تكون دافعاً لاتباع الديانات للبحث عن المشتركات فيما بينها، والتعاون فيها، والتمحور حولها، بدل أن يدخلوا فيما بينهم حروباً وصراعات ونزاعات.

الديانات وترويض الشهوات

إن الفضائل والقيم الأخلاقية تمثل قاسماً مشتركاً بين الديانات، لكن التزام الإنسان القيم الأخلاقية غالباً ما يصطدم بأهوائه وشهواته، فيكون متمرداً ساحقاً لهذه القيم الأخلاقية ومتجاوزاً لها؛ لأنه ينطوي على رغبات وشهوات تدفعه لتجاوز التزام الفضائل والقيم، وهذا هو المنشأ الأساس للتمرد عليها، وليس ذلك نابغاً في الغالب من عدم معرفته بها؛ بل إن وجدانه وضميره يهديه إليها، فلا يوجد من يجهل قبح الظلم والكذب، وحسن العدل والصدق، جميع الناس يعرفون ذلك بفطرتهم ووجدانهم، وإنما المشكلة في تشخيص التطبيقات والتفاصيل، وفي وجود الموانع الشهوانية، التي تحول دون التزام القيم الأخلاقية.

من هنا جاءت الديانات للاهتمام بالبرامج «الترويضية» والتهذيبية» التي تطوِّع رغبات الإنسان، بحيث يكون مسيطراً على

رغباته وشهواته، ولا تكون الرغبات والشهوات مسيطرة عليه؛ لأنَّ خضوعه لذلك يعني الدفع به لتجاوز القيم والأخلاق.

ومن الوسائل المتبعة في مختلف الديانات لترويض الإنسان للسيطرة على رغباته وشهواته هي: «الصوم»، فهو برنامج تدريبي ترويضيّ للشهوات والرغبات، إذ يمتنع الإنسان - أثناء الصوم - اختيارًا عن الأشياء التي يرغب فيها ويميل إليها، بل ويحتاجها كالطعام والشراب.

لذلك أشارت الآية الكريمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إلى أن الصوم ليست فريضة خاصة بالمسلمين، بل يشمل أصلها جميع الديانات السابقة، ونشير هنا إلى أن الدين السماوي في الأصل واحد، وإنَّما الشرائع تختلف من نبيٍّ إلى آخر، ومن باب المجاز نعبر بالديانات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩]؛ وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾؛ [سورة المائدة، الآية: ٤٨]. نعم يستفاد من بعض النصوص المروية أنَّ تخصيص شهر رمضان بهذه الفريضة هو من خصوصيات الأمة الإسلامية، كما روى حفص بن غياث النخعي عن أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: «إنما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضل الله به هذه الأمة، وجعل صيامه فرضًا على رسول ﷺ وعلى أمته^(١)».

(١) من لا يحضره الفقيه. ج ٢، ص ٦٢.

والترويض النفسي عبر الصوم لا ينحصر في الديانات السماوية فقط، بل حتى الديانات الأخرى نظير الهندية والصينية تجد فيها حضوراً لبرنامج الصوم؛ حيث تشجّع معتنقيها على ممارسته.

قد تختلف أوقات الصوم وتشريعاته بين الديانات، إلا أن أصل الموضوع وهو الامتناع اختياراً عن الرغبات لزمان معين، مشترك بين الديانات عموماً، والهدف منه هو التدرّب والترويض للسيطرة على الرغبات والشهوات.

الصوم تدريب وترويض

في الصوم يكون امتناع الإنسان عن الأكل والشرب والجنس والمفطرات الأخرى، اختيارياً رغم صعوبته في بعض الأحيان، فنلاحظ العمّال المسلمين مثلاً، وصومهم في أيام الحرّ والصيف، يشكّل بالفعل ترويضاً حقيقياً للنفس، وهيمنة على الرغبات، أو نلاحظ صوم المسلمين في البلدان التي يطول فيها النهار، فيحتاجون مقاومة شديدة للرغبات وصبراً على الصوم.

وقد أوضحت الحسابات الفلكية في عام ٢٠١٤م، أن مسلمي أوروبا هم الأعلى في عدد ساعات الصيام، حيث تصل إلى واحد وعشرين ساعة في بعض مناطقهم، وبذلك يكون الليل ثلاث ساعات فقط هي التي يجوز للإنسان المسلم أن يتناول فيها الإفطار، بينما أقل عدد ساعات للنهار يكون في الأرجنتين، حيث تقدّر ساعات الصوم بتسع ساعات ونصف فقط، أمّا في مناطقنا

فالصوم يتراوح بين الأربع عشرة إلى خمس عشرة ساعة.

فالإنسان الذي يحبس نفسه عن جميع اللذائذ الشهوانية المفطرة طيلة إحدى وعشرين ساعة، وفي تلك البلدان، التي ربما لا تساعد أجواؤها على الصوم، كما هو الحال في بلداننا؛ حيث لا يعيش الصائم هناك في إطار مجتمع صائم، يمنحه القوة والاستمرارية من خلال الأجواء المشجعة، أقول: من يصوم طيلة هذه الفترة لا شك بأن له أجراً وثواباً عظيماً عند الله عزّ وجلّ، وفي مثل هذه الأجواء يتمظهر الغرض الأساس من الصوم، وهو السيطرة على الرغبات والشهوات، وأن الإنسان لا يكون مندفعاً مع رغباته وشهواته.

لذلك ورد في خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام عن حكمة الصيام، بأن فرضه: «تَثْبِيْتًا لِلْإِخْلَاصِ»^(١).

وعن عليّ عليه السلام: «وَالصَّيَامُ ابْتِلَاءٌ لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ»^(٢).

ومن هنا جاءت النصوص في فضل الصوم؛ لكونه ينمي في الإنسان هذه الملكة والإرادة.

وأشارت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إلى هذا الهدف السامي؛ حيث جعلت التقوى مقصداً وملاكاً، لعل الإنسان من خلال الصوم وحبس نفسه عن الملذات وترويضها يتوفر على تلك الملكة والقدرة.

(١) بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة، حكمة ٢٥٢.





نفحات شهر رمضان

في هذا الشهر الكريم الذي جاءت الآيات والأحاديث والروايات في تبيان فضله وعظمته، بما يفوق تصور الإنسان، علينا الاهتمام باستثمار فرص الخير والرحمة والمغفرة فيه.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه لما حضر شهر رمضان: «سبحان الله ماذا تستقبلون وماذا يستقبلكم»^(١)، كما ورد في حديث آخر عنه ﷺ: «لو يعلم العبد ما في رمضان لوذ أن يكون رمضان السنة»^(٢)، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «شهر رمضان سيد الشهور»^(٣)، وعنه ﷺ: «هو شهر أوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره إجابة والعتق من النار»^(٤).

(١) مستدرک الوسائل ج ٧ ص ٤٢٥ ح ١٥٨٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٣٤٦ ح ١٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٠، ص ٥٤، حديث ٨٩.

(٤) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٩٥.

وهذا الإمام الصادق عليه السلام يوصي ولده إذا دخل شهر رمضان قائلاً: «فأجهدوا أنفسكم، فإن فيه تقسم الأرزاق وتكتب الآجال، وفيه يكتب وفد الله الذين يفتنون إليه، وفيه ليلة العمل فيها خير من العمل في ألف شهر»^(١).

على الإنسان أن يضع له برنامجاً مميزاً لهذا الشهر المميز، حتى لا يكون كغيره من الشهور، فليحرص الإنسان المؤمن بأن يكون له فيه برنامجان: على المستوى الفردي، وعلى المستوى العائلي، فعلى المستوى الفردي في هذا البرنامج:

أولاً: تلاوة القرآن الكريم والدعاء والاستغفار، يقول علي عليه السلام: «عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدعاء، فأما الدعاء فيدفع به عنكم البلاء، وأما الاستغفار فيمحي ذنوبكم»^(٢).

وبحمد الله لدينا كنوز روحية من الدعاء، وردت عن أهل بيت النبوة، وجددهم رسول الله صلى الله عليه وآله كدعاء السحر، وأدعية الأيام. فكل لحظة من لحظات هذا الشهر، وكل ساعة من ساعاته، هناك دعاء من الأدعية يقرأ فيها، فعلى الإنسان الاستفادة من هذه الأدعية الماثورة.

ثانياً: المواظبة على صلاة الجماعة.

(١) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ٣٠٥، حديث ١٣٤٨١.

(٢) الكافي. ج ٤، ص ٨٨، حديث ٧.

ثالثًا: صلاة الليل والنوافل المستحبة، فإذا كان الإنسان طوال السنة لديه مختلف الأشغال والأعمال، فعليه في شهر رمضان المبارك أن يجعل له برنامجًا لأداء النوافل المستحبة، وأن يسعى بالمقدار الممكن لتعويد نفسه على هذه النوافل.

رابعًا: الصدقة، «فقد سئل رسول الله ﷺ، أي الصدقة أفضل؟، قال: صدقة في رمضان»^(١). فعلى الإنسان بذل ما يستطيع في هذا الشهر الكريم، لمختلف الأعمال الخيرية، من مساعدة للفقراء، ودعم للنشاطات الاجتماعية.

خامسًا: صلة الأرحام والتواصل الاجتماعي، بأن يكون للإنسان برنامج يومي لزيارة أرحامه، وتفقد أحوالهم.

سادسًا: حضور مجالس الذكر والمعرفة، ففيها من الفوائد الروحية والاجتماعية والثقافية الشيء الكثير.

وهناك برنامج على الصعيد العائلي: بإشعار العائلة بميزة هذا الشهر على سائر الشهور، ليس بالجوانب المادية فقط، ولكن بالجوانب الروحية، وهي الأهم. وذلك بتدريب الأولاد على الصلاة والصيام والقراءة الجماعية للقرآن والدعاء. والزيارات العائلية والاجتماعية، بأن تشارك العائلة كلها في الزيارة للأرحام، ولسائر أبناء المجتمع.

(١) سنن البيهقي، ج ٤، باب الجود والإفضال في شهر رمضان، ص ٣٠٥.





أخلاق التعامل في الأسرة والمجتمع

من عادات المؤمنين في هذا الشهر الكريم التوجّه إلى إحيائه بالعبادات، كالإقبال على تلاوة القرآن الكريم، وقراءة الأدعية، وأداء العمرة، والنوافل. وثواب هذه الأعمال العبادية أكبر في هذا الشهر من سائر الشهور.

العلاقة مع الآخر في دائرة التوجيه النبوي

في الخطبة التي وجهها رسول الله ﷺ للمسلمين عند دخول شهر رمضان، خصّص عددًا من فقراتها للتأكيد على حسن علاقة الصائم مع محيطه الاجتماعي، فقال ﷺ: «أيها الناس، من حسن منكم في هذا الشهر خلقه، كان له جوازاً على الصراط يوم تزلُّ فيه الأقدام. ومن خفّف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه، خفّف الله عليه حسابه. ومن كفّ فيه شرّه، كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه. ومن وصل فيه رحّمه، وصله الله برحمته يوم يلقاه. ومن قطع فيه رحّمه،

قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه»^(١).

يلاحظ في هذا الجزء من خطبة الرسول ﷺ زيادة الاهتمام بتفعيل العلاقات بين الناس، التي ينبغي أن يكون لها نصيب من اهتماماتنا وتوجهاتنا خلال هذا الشهر الكريم، من باب التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بحسن الأخلاق، وليس فقط بأداء العبادات.

إن أخلاق الإنسان هي سجايها وطبائعه، التي يدير بها حياته، ويتعامل من خلالها مع الناس.

والكثير من الأفراد يقعون تحت وطأة الاستسلام للسلوكيات التي ألفوا السير عليها، ولا يقبلون المناقشة، معللين ذلك بأن هذه طبيقتهم وطبيعتهم.

وعلى ضوء ذلك نسأل:

- هل إن سلوكيات الإنسان وطرق تعامله مع الآخر ثابتة حتمية لا يمكن تغييرها؟
- هل طبيقته في التعامل مع الآخرين هي مثالية بحيث لا شيء أفضل منها؟
- هل يطرح الفرد على صفحة نفسه ليسألها عن كيفية علاقته مع والديه، وزوجته، وأبنائه، وسائر أرحامه، فيسعى بعد ذلك لتصحيحها أو تطوير القاصر منها؟

(١) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ٣١٤، حديث ١٣٤٩٤.

لا شك أن الإنسان لديه القدرة على تغيير سلوكياته وأنماط معاشرته للناس، وإلا لو لم يكن قادرًا على ذلك لما صحَّ معاقبته ومحاسبته، وأصبح لا جدوى من وضع المناهج لتعديل السلوك الإنساني.

وتحسين الخلق، ليس فقط بالانتقال من السلوك السيئ إلى الحسن، بل هو أيضًا رفع لدرجة الأخلاق إلى مستوى أفضل.

تحسين الأخلاق في شهر رمضان

ورد عن النبي محمد ﷺ أنه قال: «جعل لمن تطوَّع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدَّى فريضة من فرائض الله عزَّ وجلَّ، ومن أدَّى فيه فريضة من فرائض الله، كان كمن أدَّى سبعين فريضة من فرائض الله فيما سواه من الشهور»^(١).

ليس التطوُّع بأداء الصلاة ودفع الصدقة فقط، بل منه أن يتبع الإنسان سلوكًا حسنًا جديدًا في سيرته وتعامله، وبالتالي يكون كمن أدَّى سبعين فريضة من فرائض الله. فإذا طوَّر الإنسان في أسلوب علاقاته مع الآخرين، في رحاب هذا الشهر الكريم، وواظب عليها فيما بعد، فإنه سيخرج من هذه المدرسة الروحية التربوية بثمرة وحال جديدة، لم يكن قد تعوَّد عليها، وقد يجد في بداية الأمر صعوبة في الألفة معها، لكن ستصبح فيما بعد مألوفةً عاديةً.

(١) الكافي. ج. ٤، ص ٦٦.

مبادرات يسيرة ذات قيمة عالية

- هل تعودت حينما تدخل بيتك أن تلقي السلام على عائلتك؟
- إن لم تكن متعودًا، فعوّد نفسك بالسلام على أهلِكَ، حينما تدخل بيتك. فليس إلقاء السلام على الأُجانب فقط.
- هل عوّدت نفسك شكر عائلتك وأبنائك على ما يقدمونه من خدمات منزلية؟
- لماذا لا توجّه شكرك لزوجتك إذا قدمت لك طعامًا أو أيّ خدمة أخرى؟ فله الأثر الطيب على قلبها ونفسها.
- وكذلك الزوجة في المنزل، إذا جلب زوجها حاجيات العائلة ومستلزماتها، مع أن هذا من واجباته، لكن أن تشكره وتدعو له بطول العمر والسعة في الرزق، فإن هذا الإسلوب له تأثير كبير على الطرفين، وعلى الأبناء، الذين سيجنون ثمرة هذه العلاقات الطيبة بين الوالدين، التي من أهمّها الاعتياد على شكر من أحسن إليهم. وكذلك الإحسان إلى والديهم. هذه العادات والتجارب اليسيرة، على الإنسان أن يواظب عليها؛ لأنها من الخير، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الخير عادة»^(١).

تصحيح لمفهوم خطأ

ليس صحيحًا أن يبرّر الإنسان لنفسه قوله: إن هذا من طبيعتي،

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

فماذا أصنع؟

الإمام علي عليه السلام يقول: «لا تسرعنَّ إلى الغضب فيتسلط عليك بالعادة»^(١)، فإذا عودت نفسك تصبح أسيراً لتلك العادة.

وورد عنه عليه السلام: «تخير لنفسك من كل خلقٍ أحسنه، فإن الخير عادة، وتجنب من كل خلقٍ أسوأه وجاهد نفسك على تجنبه»^(٢)، وعنه عليه السلام: «عودوا أنفسكم الحلم»^(٣).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إذالم تكن حليماً فتحلم»^(٤). حاول أن تعود نفسك على الحلم بالسيطرة على أعصابك، ولا تنفعل حينما يكون هناك ما يسيء إليك ويزعجك.

فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «عود لسانك لين الكلام وبذل السلام»^(٥).

بين المجتمع الشرقي والغربي

ذات مرة أعدت إحدى الفضائيات برنامجاً تلفزيونياً يطلق عليه «الكاميرا الخفية» حيث يواجهون فيه الإنسان بتصرف استفزاعي، ليروا ردة الفعل الصادرة عنه. فقاموا بإجراء تجربة رش الماء،

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تحف العقول. ص ٢٢٤.

(٤) الكافي. ج ٢، ص ١١٢.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم.

وبشكل فجائي، على مجموعة من الأشخاص، الذين ينتمون لأحد المجتمعات الغربية، وإلى مجموعة أخرى تنتمي لأحد المجتمعات الشرقية، وقاموا بمقارنة ردود الفعل بين المجموعتين، فبدا الفارق واضحاً. ففي المجتمعات الغربية كانوا يبتسمون ويضحكون، ويرددون عبارات فيها نوع من المزاح والابتهاج؛ لأنه بالتأكيد حينما يواجه الإنسان هذا التصرف فإنه ينزعج في بداية الأمر، ثم ما يلبث أن يفكر لماذا هذا التصرف؟ فهناك من يدرك أن هذا التصرف لا بُدَّ وأن يكون له باعث معيّن، فلماذا الانفعال والانزعاج؟

أما في المجتمع الشرقي، فكانت ردّة الفعل أن انطلق اللسان كالبارود، إذ ينفجر بالسباب والشّائم، وبعضهم كاد أن يستخدم عضلاته وقوته غضباً، المسألة إذاً ترتبط بالحالة النفسية والتعود.

حسن الاستماع

ومن العادات التي اهتم الإسلام بها حسن الاستماع، فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «عود أذنك حسن الاستماع»، فالمشكلة التي تتكرر في الكثير من المجالس، هي قطع السامع كلام المتكلم، وإدخال حديث آخر على كلامه، وهي عادة غير جيدة، ولا تلتقي مع ما تنشده تعاليم ديننا الحنيف.

أفضل زمن لتنمية العادات الطيبة

من أهم معالم حسن الخلق في هذا الشهر الكريم صلة الرحم كما قال عليه السلام: (من وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه ومن

قطع رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه).

وأول درجة من درجات صلة الرحم: منع الإساءة للزوجة أو الزوج، والوالدين، والأولاد، والموظفين والعمّال.

والدرجة الثانية: الإحسان، فحسن التعامل، والعطاء لهم، والتواصل معهم، ندب إليه الدين الإسلامي، فرسول الله ﷺ يقول: «ومن خفف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه، خفف الله عليه حسابه»، فمن كانت لك السيطرة عليهم، كالعمّال، والخدم الذين يكونون تحت إشراف الإنسان، حيث يخفف الضغط عليهم في أسلوب التعامل معهم، وتشير بعض التقارير إلى أن الخدم وخاصة في المنازل يتضاعف عليهم العناء في هذا الشهر، حيث زيادة الطبخ، وإعداد الطعام، والنشاط البيتي الذي يكثر ويزداد.





التدين والنزعة الإنسانية

يفترض بالإنسان حين يكون متديناً، أن تفيض مشاعره بالمحبة والاحترام لمن حوله من الناس، وأن تظهر على سلوكه وممارساته نزعة اللطف واللين، في علاقاته مع المحيطين به؛ ذلك لأن التدين يعني استهداف رضا الله سبحانه وتعالى، فالمتدين هو من يريد الحصول على رضاه عز اسمه. وقد دلت النصوص الدينية الواردة عن الله سبحانه وتعالى، عن طريق الوحي والأنبياء وأوصيائهم، على أن الله عز اسمه يرضى بحسن التعامل مع الناس، ويسخطه سوء التعامل معهم، فمن كان يريد الحصول على مرضاة الله فعليه أن يسلك هذا الطريق، ولأن المؤمن يفترض فيه أن يستهدف الوصول إلى مرضاة الله، فهذا يعني أن يكون ملتزماً سلوك طريق المحبة والاحترام، لمن حوله من الناس.

جفاف أخلاق بعض المتدينين

لكن ما نراه في الواقع الخارجي، يحكي شيئاً مخالفاً في كثير من الأحيان، لهذه التعاليم الدينية؛ فبعض المتدينين غالباً ما يكونوا عابسي الوجوه، ومنقبضين في أخلاقهم، وقاسين في تعاملهم مع من حولهم، ترى بعضهم مهتماً بتفاصيل مسائل العقيدة، أو بجزئيات الأعمال العبادية، لكنه ليس حريصاً على رعاية مشاعر الآخرين، واحترام حقوقهم، يجتنب عن بعض الخدوش في عباداته حتى لا يسخط ربه، لكنه ليس حريصاً على اجتنابها في العلاقة مع الآخرين، مع أن ذلك يسبب سخطاً كبيراً من قبل الله تبارك وتعالى، وما هذا إلا انفصاماً وازدواجيةً في الشخصية.

طالعت قبل مدة - في إحدى الصحف المحلية - مقالاً لكاتب يتحدث عن انطباعات أحد أصدقائه وزملائه عن والده، حيث يقول وهو يستذكر والده: إن والده وخاصة في شهر رمضان كان حريصاً على صلاة الجماعة، وقراءة القرآن، والأوراد والأذكار والمستحبات، لكنه يضيف الشيء الذي لم يستطع فهمه، حينما يقارن بين تدينه والقسوة التي يلحظها من أبيه تجاه أمه؛ فطالما رآه - وهو طفل - يجرّها من شعرها ويضربها!!

ولا ندرى: كيف يوفق هذا الإنسان بين مواظبته على صلاة الجماعة، وصيامه، وتلاوته للقرآن، وبين هذه المعاملة القاسية مع زوجته، وبعضهم مع أبنائه، وبعضهم مع عمّاله والخدم الذين

يعملون لديه، أو مع جيرانه، حيث نرى جارا لا يسلم على جاره المسلم المختلف معه مذهبيًا، أو جاره الذي يتفق معه في المذهب والعقيدة ويختلف معه في بعض الآراء والتوجهات، في الوقت الذي نراه مواظبًا على صلاة الجماعة وشعائر الدين، ولا ندري كيف نفسر هذه الازدواجية!!

وبغية فهم خطورة هذا الأمر، نلاحظ التركيز الذي أولته النصوص الدينية على الترابط والتلازم بين العبادات، وبين حسن التعامل مع الناس؛ فالإنسان المؤمن الذي يهتم بأداء العبادات، ويريد أن تكون صحيحة مقبولة، عليه أن يهتم بحسن التعامل مع من حوله، وحيث إننا نعيش في رحاب فريضة عظيمة، وهي صوم شهر رمضان، نجد التركيز على الارتباط بين أداء هذه الفريضة، وبين مراعاة مشاعر الآخرين، والاهتمام بحقوقهم، وهذا ما نستطيع أن نلمسه في موارد عديدة، تؤكد النصوص والأحكام الشرعية؛ فإن من جوانب حكمة فريضة الصوم، هو لأجل إشعار الصائم بمعاناة الآخرين من الفقراء والمحتاجين، كما تشير إلى ذلك نصوص عديدة:

ومنها: «سُئِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: لِمَ افْتَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبِيدِهِ الصَّوْمَ؟

قَالَ: لِيَجِدَ الْغَنِيُّ مَسَّ الْجُوعِ فَيَعُودَ بِالْفَضْلِ عَلَى الْمَسَاكِينِ»^(١).
و«عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ عِلَّةِ الصِّيَامِ؟

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٦٨.

فَقَالَ: إِنَّمَا فَرَضَ اللَّهُ الصَّيَّامَ لِيَسْتَوِيَ بِهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْغَنِيَّ لَمْ يَكُنْ لِيَجِدَ مَسَّ الْجُوعِ فَيَرْحَمَ الْفَقِيرَ؛ لِأَنَّ الْغَنِيَّ كُلَّمَا أَرَادَ شَيْئًا قَدَرَ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَأَنْ يُذِيقَ الْغَنِيَّ مَسَّ الْجُوعِ وَالْأَلَمِ، لِيَرِقَّ عَلَى الضَّعِيفِ، وَيَرْحَمَ الْجَائِعَ»^(١).

فهذه الفريضة فرضت من قبل الله تعالى حسب هذه النصوص، من أجل إشعار الإنسان بالآلام الآخرين، والإحساس بمعاناتهم؛ لأن الله يريد أن يربي الإنسان على الاهتمام بأوضاع الآخرين وآلامهم.

أحكام الصوم قرينة على أخلاقيته

وحيثما نريد أن نطل على حقيقة هذه الفريضة وطبيعة مدياتها، نلاحظ مثلاً آخر يؤكد هذه الحكمة التي أشرنا إليها آنفاً، وهو أنه يجوز للحامل المقرب، التي تخاف من الصوم على نفسها، أو جنينها، الإفطار والقضاء بعد ذلك، وكذا الأمر فيما إذا كانت ترضع ولداً، وكان الصوم يؤثر على لبنها، كل هذا يؤكد أن هذه الفريضة مأخوذ بالاعتبار فيها، مراعاة حقوق الآخرين، كما بينت ذلك تفاصيل مختلفة من أحكامها الشرعية.

أولوية حقوق الآخرين ومشاعرهم على المستحبات

وفي سياق الشواهد التي تُظهر النزعة الإنسانية في عبادة الصوم، نلاحظ مراعاة مشاعر الآخرين وحقوقهم، حينما تتزاحم مع أمر

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٧٣.

عبادي آخر، هو: استحباب تقديم صلاة المغرب على الإفطار؛ فقد دلت النصوص على أن هذا الاستحباب، إنما هو في حالة عدم وجود من ينتظر الإنسان على الإفطار، أما في حالة وجود صائمين جالسين على مأدبة الإفطار، فلا استحباب في البين، وعلى الإنسان أن يراعي مشاعرهم، فقد ورد: «عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: تُقَدَّمُ الصَّلَاةُ عَلَى الْإِفْطَارِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يَبْتَدِءُونَ بِالْإِفْطَارِ، فَلَا تُخَالِفُ عَلَيْهِمْ، وَأَفْطِرْ مَعَهُمْ، وَإِلَّا فَابْدَأْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ الْإِفْطَارِ، وَتُكْتَبُ صَلَاتُكَ وَأَنْتَ صَائِمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ»^(١).

«وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سُئِلَ عَنِ الْإِفْطَارِ قَبْلَ الصَّلَاةِ أَوْ بَعْدَهَا؟ قَالَ: إِنْ كَانَ مَعَهُ قَوْمٌ يَخْشَى أَنْ يَحْسِبَهُمْ عَنْ عَشَائِهِمْ فَلْيُفْطِرْ مَعَهُمْ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلْيُصَلِّ وَلْيُفْطِرْ»^(٢).

وإذا صام الإنسان في غير شهر رمضان صومًا مستحبًا، وأثناء النهار وجهت إليه دعوة من قبل أحد أبناء مجتمعه لتناول الطعام، فإن الأفضل له إجابة الدعوة والإفطار، وثوابه أكثر من ثواب الصيام. روى نجم بن حطيم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من نوى الصوم ثم دخل على أخيه فسأله أن يفطر عنده فليفطر وليدخل عليه السرور فإنه يحتسب له بذلك اليوم عشرة أيام وهو قول الله عز وجل: ﴿مَنْ

(١) المفيد، المقنعة، ص ٣١٨.

(٢) الكافي، ج ٧، ص ٤٧٤.

جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴿١﴾.

وعن جميل بن دراج قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من دخل على أخيه وهو صائم فأفطر عنده ولم يعلمه بصومه فيمن عليه كتب الله له صوم سنة ^(٢).

وعن داود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يفطارك في منزل أخيك المسلم أفضل من صيامك سبعين ضعفا أو تسعين ضعفا ^(٣).

إفطار الصائم ثواب جليل

ومن النماذج الأخرى التي تظهر النزعة الإنسانيّة في عبادة الصوم هي: «إفطار الصائم»؛ بأن يقدم الإنسان وجبات الإفطار للصائمين، أو يدعوهم لتناولها في ضيافته، فإن الاهتمام بالآخرين، ومراعاة مشاعرهم، لا يقلّ ثواباً عن نفس فريضة الصوم، وقد أشارت النصوص الدينيّة لذلك:

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا» ^(٤).

و: عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «فَطْرُكَ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ وَإِدْخَالِكَ

(١) الكافي، ج ٤، ص ١٥٠، حديث ١.

(٢) الكافي، ج ٤، ص ١٥٠، حديث ٢.

(٣) الكافي، ج ٤، ص ١٥٠، حديث ٦.

(٤) الترمذي، السنن، ج ٢، ص ١٦٢.

السُّرُورَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ صِيَامِكَ»^(١).

حُسن الخلق جواز على الصراط

ومن شواهد النزعة الإنسانية في آداب الصوم، التأكيد على حسن الخلق حين أداء هذه الفريضة؛ فالصائم لكونه يحسّ بالجوع والعطش، ويتغير في برنامج، ربما يكون هذا الأمر مبرراً لعدم الاهتمام بمشاعر الآخرين وأحاسيسهم بسبب اختلاف مزاجه، لكن النصوص ركزت وأكدت على أن يلتفت الإنسان إلى ضرورة تفادي خطورة هذا الأمر، من هنا نلاحظ ما جاء في خطبة النبي ﷺ، حيث نصت على أن من حسن خلقه في هذا الشهر الكريم، كان له جوازاً على الصراط يوم تزل الأقدام فيه. وقد تحدث ﷺ في هذه الخطبة عن موارد تطبيقية على هذا الصعيد فقال: «أيها الناس، من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفف في هذا الشهر عما ملكت يمينه، خفف الله عليه حسابه، ومن كف فيه شره، كف الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً، أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه، وصله الله برحمته يوم يلقاه»^(٢).

ما قدمناه عيّنات ونماذج نلاحظ مثلها في الصلاة؛ فلو تابعنا أحكام الصلاة وآدابها، لوجدنا النصوص الكثيرة، التي تدلّ على

(١) ابن الأشعث، الجعفریات، ص ٦٠.

(٢) ابن بابويه، عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ٢٩٦.

الترابط بين أداء هذه الفريضة وبين احترام مشاعر الآخرين، والاهتمام بحقوقهم، كلّ هذا يؤكّد أن التديّن ينبغي أن يكون دافعاً لحسن الخلق والتعامل، والامتدّين الذي يسيء التعامل مع الناس، عليه أن يعرف أنّه يسلك الطريق الخطأ، ويتعد عن الفهم السليم للتديّن، وأنّ ما يريده من رضا الله وثوابه لا يتحصّل بهذا الأسلوب وبهذه الطريقة.



تشويه سمعة الآخرين خلل في التدين

شهر رمضان دورة تأهيلية تدريبية للالتزام بالقيم وضبط الرغبات والأهواء؛ وذلك لأن ما يعوق الإنسان عن التزام القيم والمبادئ هو خضوعه لشهواته ولأهوائه، وفي هذا الشهر الكريم يلتحق الإنسان بهذه الدورة التأهيلية التدريبية، بغية أن يتعود ضبط رغباته ومخالفة أهوائه، بما يتوافق مع التزام القيم والمبادئ.

احترام الآخرين قيمة أخلاقية دينية

ومن القيم التي تركز النصوص على مراعاتها في هذا الشهر الكريم: «قيمة احترام الآخرين وعدم التجاوز على حريم حقوقهم المادية والمعنوية»، وهي قيمة مهمة أكدتها النصوص؛ أمّا الحقوق المادية - كإصابة جسم إنسان أو سرقة ماله مثلاً - فلا يتوغل فيها إلا عدد محدود من الناس؛ لتسالم الجميع على قبح هذا اللون من الاعتداء، ولوجود روادع قانونية؛ لكن الاعتداء المعنوي - ونعني

منه إسقاط شخصية الإنسان وتشويه سمعته - فهذا ما يمارسه كثير من الناس؛ لأنَّ البعض منهم لا يلتفت إلى قبح هذا العمل، أو لأنه تعود التساهل فيه؛ لعدم الاكتراث بسليته من قبل المجتمع، فلا يبدو في نظره أمراً قبيحاً مستهجنًا.

وقد ألفت النصوص نظر الإنسان إلى أن الاعتداء على كيان الإنسان المعنوي، ليس أقلَّ قبحاً وسوءاً من الاعتداء على كيانه المادي؛ بل هو أشدَّ وأخطر.

الغيبية نموذج للعدوان

الغيبية هي نموذج بارز لهذا النوع من الاعتداء؛ فذكر الإنسان عيب أحد في حالة عدم وجوده، من أجل تشويه سمعته، والانتقاص منه، يُعدُّ أمراً قبيحاً مستهجنًا، شرعاً وأخلاقاً، حتى ولو كان ذلك العيب حاصلاً في واقع الأمر؛ إذ نرى البعض يسوِّغ استغابته للناس، وذكر معايبهم، بأن ما ذكره موجود فيمن استغابه، ولكن خفي على هؤلاء أن مجرد ثبوت هذا العيب في الإنسان لا يكون مسوغاً لنشره وفضحه، بل تبقى المسألة غيبية محرمة، ما دام ذكره يشوه سمعة هذا الإنسان ويحطُّ من كرامته.

وقد مثلَّ الله سبحانه وتعالى للغيبية بأبرز الأمثلة الصارخة المستقبحة عند بني البشر حيث قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٢].

فالإنسان يكره أن يأكل من لحم أخيه الميت، ويستقبح أكل لحوم البشر عموماً، وحينما يتحدث العقلاء عن شخص يمارس هذا الفعل فسيموضعون في دائرة الشذوذ والانحراف، وهذا ما نوهت إليه الآية المتقدمة؛ فإن من ينهش كيان الإنسان المعنوي وسمعته، فهو يمارس عملاً أقبح من أكل لحمه المادي.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة؛ حيث حذرت من الغيبة، وشدّدت النكير على ممارستها، فقد ورد عن رسول الله ﷺ حديث ينبغي التأمل فيه كثيراً، من أجل معرفة قبح هذه الظاهرة:

«يَا أَبَا ذَرٍّ، إِيَّاكَ وَالْغَيْبَةَ، فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّانَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ ذَلِكَ الَّذِي يُذَكَّرُ بِهِ. قَالَ: اعْلَمْ إِذَا ذَكَرْتَهُ بِمَا هُوَ فِيهِ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِذَا ذَكَرْتَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(١).

وقد يعجب البعض مما ذكره الحديث أن الغيبة أشدّ من الزنا، لكن من يعرف المعايير والموازن الدينية، يدرك أن الزنا جراً على حقّ الله تعالى، بينما الغيبة عدوان على حقوق الناس، وعفو الله عن الذنوب التي ترتبط بحقوقه تعالى أقرب من عفو عن ظلم الآخرين والعدوان على حقوقهم المادية أو المعنوية، كما تصرح بذلك عدد من النصوص الدينية، دون أن يعني ذلك الاستهانة بتلك الذنوب كالزنا، والذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ

(١) الطوسي، الأمالي، ٥٣٧.

إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٣٢].

ولا شك أن السبب الذي حدا بالشرعية لتشديد النكير على حرمة الغيبة، إنما هو:

أولاً: أثرها السلبي على كرامة الإنسان، والانتقاص منه، وتسقيط شخصيته، وتشويه سمعته.

ثانياً: لأن الغيبة تنشر الفاحشة والسوء في المجتمع، فإن تداول الغيبة بين الناس، وتحولها إلى حالة عامة بينهم، هو سحق للقيم والأخلاق، الأمر الذي يفضي إلى التشجيع على التجاوز، فحينما يرى الإنسان الآخرين يفعلون فعلاً فإن ذلك باعث على إسقاط هيبة ذلك الفعل في نفسه.

ثالثاً: تسبب الغيبة ردة فعل من قبل المغتاب؛ فربما ينزعج وينتقم لنفسه، وهو أمرٌ طبيعي، لأجل جميع هذه الأمور جاء التشديد على قبح الغيبة والتحذير منها.

غيبة الآخرين تمنع قبول العبادة

وفي شهر رمضان بالذات ركزت النصوص أكثر على حرمة الغيبة وقبحها، بغية تدريب الإنسان على ضبط نفسه ولسانه من ممارسة هذه الرذيلة الأخلاقية، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصائم في عبادة وإن كان نائماً على فراشه ما لم يغتَب مُسليماً»^(١).

(١) الكافي، ج ٧، ص ٣٧٤.

أي إن قبول العبادة يتوقف على عدم الاغتياب؛ فقد يكون الصوم كعبادة ظاهرية سليماً، حينما يطبق الإنسان شروطه الفقهيّة، لكنه من حيث أهليّته للقبول عند الله سبحانه وتعالى، قد لا يكون كذلك، إذا أفسد الصائم جوهره بمثل هذه الرذائل الأخلاقيّة، ومن الواضح أنّ العلماء يفرّقون بين شرائط الصّحة وشرائط القبول.

ولعلّ الالتفات إلى مضمون هذا الحديث المرويّ عن رسول الله ﷺ، يُسهّم في الابتعاد عن ممارسة هذه الرذيلة، في هذا الشهر الفضيل، وغيره من الشهور، حيث استخدم فيه نبيّ الرحمة نفس التعبير القرآني فقال ﷺ: «مَا صَامَ مَنْ ظَلَّ يَأْكُلُ لِحُومِ النَّاسِ»^(١).

وفي حديث آخر روي عن الرسول الأكرم ﷺ قال فيه: «مَنْ اغْتَابَ مُسْلِمًا أَوْ مُسْلِمَةً لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ تَعَالَى صَلَاتَهُ وَلَا صِيَامَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ»^(٢).

هذه عينة من النصوص الدينيّة التي جاء فيها تأكيد رعاية حرّيات الآخرين، لكننا نعيش اليوم في عصر أصبحت فيه ظاهرة انتهاك الحقوق المعنويّة للآخرين، وتشويه شخصياتهم، من أكثر الظواهر تفشياً وظهوراً، وخاصة في أوساط المتدينين، مع الأسف الشديد؛ فالمتديّنون الذي يتعاطون ويتداولون هذه النصوص الشريفة الدائمة لهذه الرذيلة والمتلبّس بها، نراهم يمارسونها دون هوادة، ولا أدري

(١) مستدرک الوسائل، ج٧، ص٣٧٠.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٥٨.

لِمَ هذا التساهل في أوساطهم في تشويه شخصيات بعضهم بعضًا، مع هذه النصوص الماثلة أمامهم؟ ولا أدري أيضًا السر الذي جعل من هذه المشكلة خطرًا أكبر وأظهر في عصرنا الراهن؟

حرية التعبير سلاح ذو حدين

إننا نعيش في عصر أصبح من السهل التعبير فيه عن الرأي؛ فالاهتمام بالرأي والمعرفة لم يعد حكرًا على طبقة خاصة من المجتمع، قد تمتع أحيانًا من الكشف عنه والتصريح به، بل أصبح مع اتساع رقعة التعليم والمعرفة شرعة لكل وارد، ومع وجود فرصة التعبير عن الرأي فستحصل لا محالة آراء متعددة، ومع تعدد الآراء يحصل الاختلاف والتباين بينها، وفي خضم هذه المعمة يصبح تسقيط الشخصيات وتشويه سمعتها سلاحًا في معركة اختلاف الآراء والأفكار في الأوساط الدينية، إنَّ التعبير عن الآراء والأفكار شيء معقول وسليم جدًّا، لكن خيبتنا أن يتحوّل هذا الأمر إلى سلاح فتاك، لاتّهام الآخرين في الدين والعرض وغير ذلك، من أنواع الاتهامات الجاهزة.

التطور الإعلامي سبب آخر

إنَّ تطوّر وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعيّ سببٌ آخر يسرّ أمر هذا السلوك القبيح، أعني الغيبة وتشويه السمعة؛ حيث تجد البعض يسقطون الناس تحت مظلة اسم مستعار بإسفاف وجهل، لكنهم غفلوا أنّ صاحب هذا الاسم المستعار قد يخفي على الناس،

لكنّه لا يخفى على خالقهم العليم الخبير بكلّ شيء.

والأنكى والأتعس تكوّن جهات تحترف إسقاط شخصيات الناس، من خلال تجهيز وسائل إعلامية يكون شغلها الشاغل تسقيط سمعة المؤمنين؛ فليدبرهم آراء معينة متطرّفة، يعتبرونها هي الحقّ الصراح، ومن خالفهم في ذلك فهو كافر وضالّ ومبتدع وناقص العقيدة وهادم للإسلام... إلى غير ذلك من الأوصاف التي يكيلونها دون أن يفرّقوا بين متقدّم ومتأخر، ولم يسلم من إيذائهم وسوئهم أحد من الأولين والآخرين، من مراجع وعلماء وفقهاء ومفكرين.

وهذا الأمر أخطر من الخطير؛ فحينما تتحوّل الغيبة وإسقاط سمعة الآخرين، من عمل فرديّ إلى عمل مؤسّساتي، فهذه هي الكارثة؛ إذ نجد مؤسسات منظمّة شغلها الشاغل إسقاط الآخرين وتشويه سمعتهم، مرتكزين في ذلك على عنوان التقرب إلى الله تعالى، خدمة للدين والمذهب، مع أنّ هذا العمل من أشدّ المحرمات التي تحقّق أهداف الأعداء المتربصين لإضعاف مجتمع المؤمنين، ولا وسيلة أفضل من هذه الوسيلة الناجعة في تفكيك اللحمة، والإجهاز على ثقة الناس بالدين وعلمائه؛ فإذا فرضنا أنّ هذا المرجع أو هذا الخطيب الذي أدّى دورًا كبيرًا في خدمة الدين والمنبر، يوصف بهذه المواصفات البذيئة، فلا يبقى للدين ورموزه باقية، وهذا الأمر يُعدّ من أخطر وأقبح الأعمال السيئة التي تفشت

في مجتمعات المؤمنين في هذا العصر.

وعلى المؤمنين أن يكون لهم دور في تحسين المجتمع من تأثيراتها، وينبغي ألا يصغي الناس لهؤلاء، حتى لا يتربى جيل مجتمعي على هذا المنحى والتوجه، كما نلاحظ في واقعنا الحاضر شباباً في مقبل العمر متحمسين لدينهم، يلهجون بلعن هذا واتهام ذلك.

إننا ونحن نعيش في رحاب هذا الشهر الكريم، ومع هذه النصوص الدينية الوافرة التي حذرت من انتهاك سمعة الآخرين وتشويه شخصياتهم، ينبغي أن نستثمر هذا الشهر الفضيل، في بث ثقافة التحسين لمجتمعنا من مثل هذه التوجهات السيئة السلبية، نسأل الله تعالى أن يبعثنا وإياكم عن مساوئ الأخلاق.



سماسرة الضغائن والأحقاد

استقبال شهر رمضان المبارك ينبغي أن يشيع في نفس الإنسان المؤمن الأمل والتفاؤل؛ فيستقبل هذا الشهر بروح تغمرها البهجة والسرور؛ لأنه مقبل على فرص هائلة عظيمة من المكاسب، يمكنه تحصيلها وحيازتها، مكاسب معنوية روحية كبيرة، حيث ضيافة الله، وسعة عطائه، ومواهب رحمته ولطفه، فالإنسان في هذه الفترة مقبل على شهر عظيم، يمكن الإنسان من القرب نحو خالقه أكثر وأكثر، ويمكنه من الحصول على أكبر قدر من الثواب ونيل مغفرة الله سبحانه وتعالى.

اصلاح النفس مهمة رمضان

هي فرصة عظيمة تمكن الإنسان من إصلاح نفسه وتغييرها إلى الأفضل والأحسن، لذلك كان رسول الله ﷺ قبيل شهر رمضان يلتفت إلى الناس قائلاً لهم: «سبحان الله!! أتدرون ما يستقبلكم

وماذا تستقبلون» ويكرر هذه الكلمة مرّات ثلاث؛ إنّ شهر رمضان ليس وقتاً عادياً، وينبغي أن يعرف الإنسان المسلم تميّز هذا الشهر العظيم.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «... لَا يَكُونَنَّ شَهْرُ رَمَضَانَ عِنْدَكُمْ كَغَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ؛ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً، وَفَضْلاً عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ...»^(١)؛ وعلى هذا الأساس فإنّ على الإنسان أن يقبل على الشهر الكريم بتفاؤل، ولكننا نجد - ومع الأسف الشديد - أنّ بعض الناس يكون شهر رمضان بالنسبة لهم عبئاً، إمّا تهرباً من الصيام أو تهاكلاً منه، وكما قال ذلك الأعرابي حينما هلّ هلال شهر رمضان عليه وكان الوقت قائظاً فقال: «أقبلت إلينا في الصيف، والله لأقطعنك بالأسفار»، ذلك لأن السفر جائز في شهر رمضان ولو من أجل الأخذ بفسحة الإفطار، لكن ما يفوته الإنسان على نفسه من فرصة عظيمة أكبر وأجلّ، علماً أنّ قيمة شهر رمضان لا ترتبط بالصوم فقط؛ حيث يمكن للمسافر أن يعيش بركات هذا الشهر الكريم أيضاً.

شهر فاعلية ونشاط

وهذا الاستقبال كما يكون بالتفاؤل، ينبغي من جهة أخرى أن يحفز الإنسان للمزيد من الفاعلية والنشاط في عمل الخير؛ فشهر رمضان ليس شهر راحة، وإنما شهر كفاح وجدّ ونشاط؛ فالنبي ﷺ

(١) بحار الأنوار. ج ٩٣، ص ٣٤٠.

كان يستعدُّ لهذا الشهر، ويقضيه بالمزيد من أعمال الطاعة والخير، بما في ذلك معارك الجهاد التي حصل بعضها في شهر رمضان المبارك.

من هنا نجد أنّ النصوص تدعو الإنسان للإكثار من عمل الخير في شهر رمضان، فإن المواظبة على صلاة النافلة في شهر رمضان، والإكثار منها، وتلاوة القرآن، وعمل الخير، والنشاط الاجتماعي والمعرفي، كلّها أعمال يستحسن بالإنسان أن يمارسها ويربي نفسه عليها في هذا الشهر الفضيل، وإن لم يكن ملتزمًا بها في غيره من الشهور، وما تعودته بعض الناس من كون هذا الشهر شهر راحة وكسل وتقاعس، ما هو إلا غفلة عن حقيقة هذا الشهر الكريم، الذي هو شهر نشاط وفاعليّة واجتهاد في عمل الخير.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ إنه قال: «مَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُورِ»^(١)، فعلى الإنسان أن يفتش فيما عنده من أرشيف عن الفرائض الإلهية - الأعم من كونها ماليّة أو عباديّة - التي لم يؤدّها، وبقيت عالقة في ذمّته، فعليه المسارعة إلى تأديتها في هذا الشهر الفضيل؛ فإن أداء الفرائض في هذا الشهر أفضل وأكثر ثوابًا؛ فالصدقة والبذل في هذا الشهر الكريم مثلًا أفضل منها في باقي الشهور؛ فقد سئل رسول الله ﷺ: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ

(١) الكافي. ج ٤، ص ٦٧.

أَفْضَلُ؟ قَالَ: صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ»^(١).

«وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»^(٢).

فهو شهر بذل وعطاء أكثر، وهكذا على مستوى جميع البرامج حيث ينبغي أن تُكثَّف، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «أَكْثَرُ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ، وَذِكْرِ اللَّهِ فِي آتَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَبِرِّ الْإِنْحَوَانِ...»^(٣).

التواصل الاجتماعي أمر مطلوب

ينبغي أن تزداد وتيرة البرامج الاجتماعية والتواصل والبرِّ وصلة الرحم في شهر رمضان، أكثر من غيره من الشهور، لهذا جاءت الأحاديث حول إفطار الصائم مثلاً، حيث عدَّ هذا الأمر نوعاً من النشاط والتفاعل الاجتماعي، فقد جاء الحديث عن رسول الله ﷺ: «فِطْرُكَ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ وَإِذْ خَالَكَ الشُّرُورَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ صِيَامِكَ»^(٤).

وفي رواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، فَلَهُ

(١) كنز العمال. ج ٨، ص ٥٩١.

(٢) البخاري. ج ١، ص ٧. حديث ٦.

(٣) مستدرک الوسائل. ج ٧، ص ٤٣٥.

(٤) الكافي. ج ٤، ص ٦٩.

مِثْلُ أَجْرِهِ»^(١).

شروطان لحصول التوفيق

السؤال الذي ينبغي الإجابة عنه هنا، هو: كيف يتوفَّق الإنسان لاستثمار شهر رمضان، وللاستزادة من بركاته وخيراته؟ هذا ما أشارت له فقرة من كلام رسول الله ﷺ في خطبته حيث قال: «فَاسْأَلُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ بِنِيَّاتٍ صَادِقَةٍ، وَقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ، أَنْ يُوفِّقَكُمْ لِعَمَلِهِ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ»^(٢)؛ إن الشرط الأول هو النية الصادقة، وتعني العزم والقصد، بأن يقرر الإنسان التفاعل مع الشهر الكريم، واستثمار أجواءه المباركة في أعمال الخير، ومن ثم يسأل الله التوفيق لنجاح توجهه وقراره، والتوفيق ليس حالة نفسية تُفرض على الإنسان من خارجه، بل هي دعم وتأيد لإرادته وعزمه وقراره الداخلي.

أمَّا الشرط الثاني فهو: «طهارة القلب»؛ فعلى الإنسان أن ينظِّف ما في قلبه من الأحقاد والضغائن والحساسيات على العباد، وهذا الأمر يهيؤه لاستثمار شهر رمضان، على الإنسان أن يعي جيداً ألا وجود لعائق يعيقه من داخله عن عمل الخير، كما هي الإعاقة الحاصلة من الأحقاد والضغائن، فإنَّ وجودها يعيق عن أعمال الخير، وعن الانفتاح على الله سبحانه وتعالى، لهذا ينبغي للإنسان أن يهتم بنظافة داخله وقلبه من جميع الأحقاد، كما يمارس تنظيف

(١) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ١٤١.

(٢) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ٣١٤.

بيته ومنزله حينما يستقبل الضيوف، كيف والقادم هو شهر رمضان،
«سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا تَسْتَقْبِلُونَ وَمَاذَا يَسْتَقْبِلُكُمْ»^(١).

وفي رواية جميلة عن رسول الله ﷺ عن أنس قال: «كُنَّا جُلُوسًا
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ
الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطَفُ لِحْيَتُهُ
مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشَّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ
مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ
حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ تَبِعَهُ أَحَدُ
الْأَصْحَابِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْوِيَهُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَكَانَ هَذَا الصَّحَابِيُّ
يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمَّ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ
شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى
يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا.

فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكَادَ أَنْ يَحْقِرَ عَمَلَهُ، قَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ
إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ يَقُولُ ثَلَاثَ
مِرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ، فَأَرَدْتُ
أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ،
فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ،

(١) مستدرک الوسائل، ج٧، ص٤٢٥.

فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ.

قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ...»^(١).

تلويث القلوب بالأضغان

هذا الحديث يكشف عن حقيقة ينبغي للمتدينين العمل بها ووضعها كأساس في تصرفاتهم، فإن الإكثار من الصلاة والصيام وباقي العبادات لا فائدة منه ما لم ينعكس على أخلاق الإنسان وتعامله مع نفسه ومع غيره، تجد الإنسان في بعض الأحيان يشفق على بعض المتدينين ممن يبالغ في الشعائر والفرائض، وهو في نفس الوقت يحمل بقعاً سوداء داخل قلبه على عباد الله، فيكره هذا، ويحقد على ذلك، وهو يظن بأنه من أتباع العقيدة الصحيحة والمذهب السليم؟! إن أهل البيت عليهم السلام لا يريدون قلوباً سوداء، وإنما يطلبون قلوباً طاهرة من الأحقاد والأغلال.

هناك من يكرهون الناس ويبغضونهم على أقل اختلاف، فإن البغض قد ينشأ في بعض الأحيان جرّاء مشكلة خاصّة، وقد يكون لأن المبعوض من أتباع الديانات أو المذاهب الأخرى، وربما يكون من داخل نفس المذهب إلا أنه له رأي آخر في بعض المسائل والقضايا، ولا ندري كيف جاءت الوصاية لهذا الإنسان على بني

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ١٢٨-١٢٩، حديث ١٢٧٢٧.

البشر؟! ولماذا تلويث القلب بالأحقاد والضغائن التي من أسوأها: الحقد على الأرحام والأقرباء بسبب خلافات على قضايا فكرية، أو تضارب مصالح.

سماسة الأحقاد وتجارها

تعاني الأمة في الوقت الحاضر من الأحقاد الاجتماعية بين الطوائف والأديان والمذاهب والشعوب، التي يدير كفتها تجار وسماسة أحقاد، هؤلاء السماسرة والتجار ينتظرون حدثاً يحصل من هنا وهناك، ليؤججوا الخلاف والأحقاد والضعينة، خصوصاً والأمة تعيش في الوقت الحالي مرحلة تحوّل ترافقها أحداث وصراعات في أكثر من بلد عربي وإسلامي، فيستغل هؤلاء هذا الوضع، ليفجروا مخازن الأحقاد والسموم، فيثونها وينشرونها، وعلى الفرد المسلم أن يحذر مثل هؤلاء، وأن يواجه هذه الحالة، بنشر ثقافة التسامح والصفح والتجاوز، مهم أن ننشر ثقافة العبادة والدعاء، شرط أن ترافقها دعوة للتسامح والمحبة، ورفض التبعئة والتبعئة المضادة، هذا هو ما تحتاجه الأمة في هذا العصر.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يطهر قلوبنا من الأحقاد والأغلال والضغائن، وأن يمنحنا النية الصادقة، والعزيمة الراسخة، على استثمار هذا الشهر الكريم.



شهر العطاء والسّخاء

لشهر رمضان المبارك منزلة عظيمة، لا يوازيه فيها أيّ شهر من شهور السنة، وقد تحدث رسول الله ﷺ عن منزلة هذا الشهر وعظمته وبركته فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ، وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ، وَكَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِيِ، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ، هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَاةِ اللَّهِ، وَجُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةِ اللَّهِ، أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسِيحٌ، وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ، وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ، وَدُعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَابٌ»^(١).

الارتقاء الروحي

ولكي يستفيد الإنسان المؤمن من بركات هذا الشهر العظيم، لا بُدَّ له من الاستعداد والتهيؤ لاستثماره، ليكسب منه أعلى قدر

(١) الحرّ العاملي: وسائل الشيعة، ج٧، ص٢٢٧.

من الخيرات والبركات، فهي فرصة عظيمة، على الإنسان ألا يفرط فيها، ومن أفضل برامج الاستثمار في هذا الشهر الكريم هو التوجه للارتقاء الروحي.

يمارس الإنسان برامج مختلفة من أجل حماية صحته، أو من أجل رشاقة جسمه، أو تجاوز بعض المشكلات الصحية لديه، ومن المهم أيضًا أن يسعى لتحقيق رشاقته الروحية، والارتقاء بصفاته المعنوية، وشهر رمضان هو خير فرصة لتحقيق هذا الأمر.

والصوم في حد ذاته وسيلة من وسائل الارتقاء الروحي، كما أنّ الأجواء الخاصة التي منحها الله لهذا الشهر الكريم، تمثل فرصة ليس لها مثيل في سائر الشهور.

إنّ إقبال الإنسان على الله، عبر تلاوة القرآن الكريم، وقراءة الأدعية، والتدبر في آيات القرآن المجيد، وصلاة النوافل، تجعل الإنسان مهيبًا أكثر للارتقاء الروحي المعنوي، لكن هذا الارتقاء ليس مجرد مشاعر في النفس، أو تصورات في الذهن، وإنما هو رؤية إيمانية للوجود والحياة، تنعكس على سلوك الإنسان وأخلاقه وتصرفاته، فتكوّن معرفته لهدف وجوده في هذه الحياة، وتطلّعه لأداء دوره المطلوب منه، وبالتالي تنعكس على سلوكه وتصرفاته.

في شهر رمضان يتجه الإنسان إلى مراجعة ذاته، والتفكير في دوره وغايته في هذه الحياة، ويفترض أن يعيد السؤال على نفسه:

لماذا أنا موجود في هذه الحياة؟

من الذي أوجدني؟ وماذا يريد مني؟

ماذا أريد من الله؟ وماذا أريد من وجودي؟

ينبغي للإنسان أن يجدد طرح هذه الأسئلة على نفسه في شهر رمضان، ونتائج هذه المراجعة وهذه التساؤلات يجب أن تنعكس على سلوكه وتعامله مع حياته ومحيطه.

علاقة الإنسان بالمال

يتأمل الإنسان في جوانب كثيرة من حياته، ويسعى لتطويرها واستثمارها، فيما يعود عليه بالنفع لذيئه وآخرته، ومما ينبغي التفكير فيه علاقته بالمال والثروة، فكل إنسان لديه إمكانات وممتلكات، مع تفاوت المستويات بين الناس في ثروتهم وقدراتهم المالية.

أول سؤال على الإنسان أن يطرحه على نفسه: هل المال الذي أعطاني الله إياه هو لي فقط، أم يشاركني فيه غيري؟

في الحالة الذاتية المتعارفة يكون الجواب: المال لي، فقد بذلت جهداً في كسبه، وجمعته من سعيي وتعبني!

نعم.. لكن الإنسان يعلم من خلال تلاوة القرآن، وقراءة الأدعية، وملاحظته للحياة، أن هذا عطاء ورزق من الله، فهو سبحانه الذي وهب للإنسان الحياة، ومنحه مختلف القوى والنعم، كما يقول تعالى ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [سورة النحل، الآية: ٥٣].

وهو سبحانه يقرر أن ما لديك - أيها الإنسان - من مال ليس لك

وحدك، قسم من هذا المال ينبغي أن يصل للفقراء والمحتاجين، وهذا ليس تفضلاً منك، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة المعارج، الآيتان: ٢٤-٢٥]، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ١٩].

ويقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فيما ورد عنه: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيِّ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَأَلَهُمْ عَن ذَلِكِ»^(١).

التلاوة.. تأمل وتفاعل

جاء التأكيد على استحباب تلاوة القرآن الكريم وخاصة في شهر رمضان المبارك، فعن رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُوا فِيهِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ»^(٢)، وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «لِكُلِّ شَيْءٍ رَبِيعٌ، وَرَبِيعُ الْقُرْآنِ شَهْرُ رَمَضَانَ»^(٣).

وينبغي أن يرتقي الإنسان المؤمن بتلاوته إلى التأمل والتفاعل مع آيات الذكر الحكيم، فهناك مئات الآيات التي تعالج موضوع التعامل مع المال، وتقدم للإنسان رؤية واضحة متكاملة، تقول له: إن هذه الثروة التي لديك ليست لك خاصة، وأن عليك أن تفكر

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣٢٨.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٣٤٠.

(٣) الشيخ الكليني: الكافي، ج ٤، ص ٦٦٤، ح ١٠.

في الآخرين، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٣٩].

وتمرّ على الإنسان آيات تحذّره من التسويف في الإنفاق، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿[سورة المنافقين، الآيتان: ١٠-١١].

وآيات تكشف للإنسان حقيقة البخل، وما يؤدي إليه، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]، فمن يظنّ أنه إذا لم ينفق يحفظ ماله، وأنّ ذلك خير له فهو واهم، فكلّ ما يقدمه الإنسان يعود بالنفع عليه نفسه، يقول تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٧٢].

حينما يقرأ الإنسان هذه الآيات في شهر رمضان، عليه أن يعلم أنّها موجهة إليه، وليس مجرد كلمات يقرأها، لينال الثواب بتلاوتها، فيختم القرآن الكريم كاملاً، ويعود إلى ختمه ثانية! إنها رسائل مباشرة، وتوجيه يعنيك، عليك أن تقف عنده، لذلك

فإن من يستثمر شهر رمضان ويتفهم حقيقته يصبح بالنسبة له شهر عطاء وسخاء.

عندما يُسأل رسول الله ﷺ: «أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟»، يقول ﷺ: «صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ»^(١)، فالثواب فيه مضاعف.

وعن ابن عباس: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ»^(٢)

وفي حديث آخر: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ أَطْلَقَ كُلَّ أَسِيرٍ. وَأَعْطَى كُلَّ سَائِلٍ»^(٣).

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ تَصَدَّقَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِصَدَقَةٍ صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنَ الْبَلَاءِ»^(٤).

في شهر رمضان أنت تنفتح على الله وهو المعطي الرازق المشيب، وهو الذي يدعوك إلى الإنفاق والتصدق والعطاء، فإذا كنت واعياً متفكراً، متفاعلاً مع شهر رمضان فإن ذلك ينعكس عليك توجهاً للعطاء والسخاء.

(١) جامع الترمذي، أبواب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، حديث رقم ٦٥٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، حديث رقم ٤٧٣١.

(٣) الشيخ الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٩٩.

(٤) الشيخ الصدوق: ثواب الأعمال: ص ١٧١، ح ١٩.

العطاء في المجتمعات المادية

نحن نقرأ عن أشخاص في المجتمعات الأخرى التي نعتبرها (مادية)، وهم لا يؤمنون بالقرآن الكريم، ولا يقرؤون مثل هذه الآيات، لكن وجدانهم وفطرتهم ووعيهم الاجتماعي يدفعهم إلى البذل والعطاء.

قبل بضع سنوات في أمريكا نظم اثنان من أكبر أثرياء العالم، هما: وارن بافيت (رجل الأعمال الشهير) وبيل جيتس (مؤسس ميكروسوفت)، نظماً حملة خيرية لتبرع الأثرياء بنصف ثروتهم، فانضم إلى الحملة ١٧ (مليارديراً) من بينهم مؤسس موقع فيسبوك مارك زوكربرج، ثم تبعهم ٥٧ (مليارديراً).

البعض يظنّ أنّ من لديه ثروات كثيرة يسهل عليه التبرع، والحقيقة أنّ الإنسان كلّما زادت ثروته زاد تعلقه بالمال.

هؤلاء الأثرياء تبرعوا بنصف ثروتهم للأعمال الخيرية والإنسانية على مستوى العالم، وليس فقط في بلادهم أو في مجتمعهم.

ما بالنا ونحن نقرأ آيات القرآن الكريم، ونصلي، ونقرأ سيرة أنبيائنا وأئمتنا، أين تأثير هذه الثقافة على حياتنا وسلوكنا؟!

بعض الجمعيات تشكو من قلة المشتركين، أو ضعف المساهمات!

نحن نقرأ في حياة الإمام الحسن عليه السلام أنه عليه السلام: (خَرَجَ مِنْ مَالِهِ

مَرَّتَيْنِ، وَقَاسَمَ اللّٰهَ مَالَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(١).

بلى.. هناك من يوفقههم الله تعالى لأعمال الخير، لا نستطيع أن نتنكر لأهل الخير الباذلين في بلادنا، على مستوى الوطن، وفي مختلف المناطق، لكن نريد أن تكون هذه الحالة عامة، وليست محدودة بأفراد معدودين.

بالطبع نحن نقدر التبرعات والمساهمات المختلفة، فكل شخص حسب إمكاناته وقدرته، لكن في بلدنا - ولله الحمد - هناك كثير من أهل الخير والثروة، والمجتمع يريد أن يرى آثار خيرهم وعطائهم.

الحاجة إلى المؤسسات الخيرية

مجتمعنا يحتاج إلى عدد من المراكز والمؤسسات الخيرية، لذوي الاحتياجات الخاصة، ولرعاية السجناء وأسراهم، فعلى مستوى المملكة هناك جمعية (تراحم) لمساعدة السجناء، وسداد ديون من كانت عليه ديون، وتفقد أوضاع أسراهم، بل تفقد أوضاع السجناء داخل السجن.

في شهر رمضان ينبغي أن نتجه إلى الاهتمام بأوضاع مجتمعنا، وأن نربي أنفسنا من خلال تلاوتنا لآيات القرآن الكريم، وقراءتنا للأدعية، على العطاء والسخاء، وتحمل المسؤولية الاجتماعية.

(١) الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٣، ص ٢٦٧.

كم من الأسر تتنّ تحت وطأة دفع إيجارات المساكن؟!
 بإمكان أهل الخير أن يقوموا بدفع إيجارات هذه المساكن،
 كلّ حسب استطاعته. بعض الجمعيات لديها الآن مشروع لترميم
 المساكن، ومنها جمعية الأوجام الخيرية أطلعوني على صور بعض
 البيوت في منطقتهم، لا تصلح لحياة البشر، حينما رأيت الصور
 تعجبت أنّ في بلادنا أناسًا يعيشون في مثل هذه الأماكن؟!!

قالوا: بلى، وأكثر!!

على أهل الخير ألا يقصّروا، فهذه فرصة شهر رمضان، وعلينا
 أن نحسن الاستفادة مما أنعم الله به علينا، وأن نفكر في حاجات
 الآخرين.

نسأل الله أن يوفقنا لنكون من أهل العطاء والسّخاء، فأفضل
 الصدقات هي الصدقة التي تكون في شهر رمضان، وفق الله
 الجميع للخير والإحسان إنه ولي التوفيق.





في وداع شهر رمضان

حينما يصحب الإنسان إنساناً يحبّه ويأنس له، فإنه يستوحش عند مفارقتة، ولذلك حينما يودع الإنسان مسافراً عزيزاً عليه يشعر بالحزن والكآبة عند فراقه، خاصة إذا كان لا يدري هل سيلتقيه فيما بعد أم لا. فإذا كان يعيش في بلد يواجه حالة حرب - مثلاً -، وابنه جندي يذهب إلى معارك القتال، فإنه يودّعه وهو لا يدري أيعود إليه أم لا، عندها ستكون ساعة الوداع ولحظاته بالنسبة إليه حزينة ومليئة بعاطفة الفقد والحرمان.

إننا ونحن نودع شهر رمضان إذا كنا نعرف قدره وقيمتة، وإذا كنا قد أنسنا به، فإننا نشعر بالحسرة لفراقه. إن المؤمنين يأنسون بهذا الشهر؛ لأنه يمثل أفضل فرصة لهم للقاء الله وللمناجاته، ولحظّ الذنوب، ولتجاوز العيوب، وللقرب من الله سبحانه وتعالى، وللغفوز برضاه وجنته.

شهر رمضان بالنسبة للمؤمنين يعتبر ربيعاً، فهو زمن الأُنس المعنوي، والعشق الروحي، والارتياح النفسي والقلبي، لذلك يشعرون بمضاضة وكآبة وهم يودعون هذا الشهر الكريم، فالأدعية الواردة في توديع شهر رمضان - كدعاء الإمام زين العابدين عليه السلام - توجه الإنسان المؤمن وتوقظ هذا الشعور في نفسه.. أيها المؤمن إنك تفارق زمناً هو أعظم وأفضل الأزمنة، ولا يدري الإنسان هل سيلتقي مرة أخرى شهر رمضان أم لا؟ إن الآجال والأعمار بيد الله. لهذا ينبغي أن نشعر من أعماق قلوبنا ونفوسنا بوحشة فراق هذا الشهر العظيم، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه الطويل الذي يودع به شهر رمضان المبارك: «وَقَدْ أَقَامَ فِينَا هَذَا الشَّهْرُ مُقَامَ حَمْدٍ، وَصَحْبِنَا صُحْبَةَ مَبْرُورٍ، وَأَرْبَحْنَا أَفْضَلَ أَرْبَاحِ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ قَدْ فَارَقْنَا عِنْدَ تَمَامِ وَقْتِهِ، وَانْقِطَاعِ مُدَّتِهِ، وَوَفَاءِ عَدْدِهِ. فَنَحْنُ مُودَعُوهُ وَدَاعَ مَنْ عَزَّ فِرَاقُهُ عَلَيْنَا، وَغَمَّنَا وَأَوْحَشَنَا انْصِرَافَهُ عَنَّا، وَلَزِمْنَا لَهُ الدَّمَامَ الْمَحْفُوظَ، وَالْحَرَمَةَ الْمَرْعِيَّةَ، وَالْحَقَّ الْمَقْضِيَّ، فَنَحْنُ قَائِلُونَ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللَّهِ الْأَكْبَرَ، وَيَا عِيدَ أَوْلِيَائِهِ. السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا أَكْرَمَ مَصْحُوبٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَيَا خَيْرَ شَهْرٍ فِي الْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ. السَّلَامَ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ قَرَّبَتْ فِيهِ الْأَمَالَ، وَنُشِرَتْ فِيهِ الْأَعْمَالُ»^(١) إلى آخر الدعاء الذي لا ينبغي أن يفوت المؤمن قراءته.

وفيما بقي من شهر رمضان ونحن نودعه، لا يزال أمامنا متسع

(١) الصحيفة السجادية، دعاء رقم ٤٥.

لمن لم يصف حساباته مع الله، ومن كان يشعر بأنه لم يؤد ما عليه من حقّ تجاه الله، عليه فيما بقي من شهر رمضان ألا يسمح بخروج هذا الشهر وله قبّل الله ذنب أو تبعة، عليه أن يتخلّص من الذنوب والتبعات، بأن يتوب، ويقرّر التوبة، وترك ما يقوم به من أخطاء، وأن يخرج من حقوق الله التي عليه. ومن حقوق الناس، وأن يحسن إلى الناس، فهذا هو الإمام زين العابدين عليه السلام كما روي عنه في آخر ليلة من ليالي شهر رمضان، يجمع خدمه وغلماؤه ويقرّرهم بأخطائهم وذنوبهم، ثم يتوجّه إلى الله ويقول: «ربنا إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد عفونا عمن ظلمنا - كما أمرت - فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين». ويقبل عليهم بوجهه الشريف وقد تبلّل من دموع عينيه قائلاً لهم بعطف وحنان: «قد عفوت عنكم، فهل عفوتم عني؟ ومما كان مني من سوء ملكة، فإني مليك سوء لثيم ظالم، مملوك لمليك كريم، جواد، عادل، محسن، متفضّل»^(١).

العضو عن الناس لتبيل الله

على الإنسان إذا أراد عفو الله سبحانه وتعالى، أن يسعى إلى عفوهِ بالعفو عن الناس، قد يشعر بأن هناك من أساء إليه، من قرييين أو بعيدين، وخاصّة من الأرحام والأقرباء، أو الجيران والزملاء، هؤلاء الذين قد يكونون أساؤوا إليك، وأنت في قلبك عليهم أو

(١) باقر شريف القرشي. حياة الإمام زين العابدين، ج ١، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، (بيروت:

على أحدهم موجدة، بادر للعفو عنهم.

هناك من الناس حينما تقول له: «اصفح عن أخيك»، «اغفر لزميلك»، يقول: «لا تدري أنت ماذا عمل؟»، ولكنك ماذا عملت أنت أيضًا تجاه الله! إنك تريد من الله أن يغفر لك ذنوبك مهما كانت كبيرة وعظيمة، وما قدر هذه الذنوب التي تتعلق بقضايا الحياة أمام الذنوب التي تريد عفو الله تعالى عنها؟

يقول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة النور، الآية: ٢٢]، فمن كان يحب ويريد مغفرة الله وعفوه، فأفضل طريق لذلك هو العفو عمّن أساء إليه مهما كانت إساءته، تقرب إلى الله تعالى بالعفو عمّن أساء إليك، وبالصفح عن إساءته، وخاصة إذا كان من الأرحام والأقرباء، فهذا أفضل الطرق. والمبالغة في الدعاء وحدها لا تكفي، فالإمام زين العابدين عليه السلام مع أدعيته في طلب العفو والمغفرة يأتي بخدمه ويغفر لهم، ويصفح عنهم، ويحسن إليهم، طلبًا لعفو الله تعالى ورضوانه.

المحتويات



٧	مقدمة
١١	ثقافة الاستعداد وحالة الاسترسال
١٩	أداء العمل بشوقٍ وتفاعل
٢٧	المفاهيم الأخلاقية قيم مشتركة بين الديانات
٣٥	نفحات شهر رمضان
٣٩	أخلاق التعامل في الأسرة والمجتمع
٤٧	التدين والنزعة الإنسانية
٥٥	تشويه سمعة الآخرين خلل في التدين
٦٣	سماسرة الضغائن والأحقاد
٧١	شهر العطاء والسخاء
٨١	في وداع شهر رمضان

